الصاعقة الثالثة عشرة بعد المئة: عدُّوك مذمومٌ بكلِّ لسانِ(*)

عــدُّوكَ مــذمــومٌ بكلِّ لســانِ ... ولو كــانَ منْ أعــدائكَ القــمــرانِ
ولـلـهِ ســـرٌّ في عـــلاكَ وإنما ... كـلامُ العـدى ضـربٌ منَ الهـذيانِ
أتلتـمسُ الأعـداءَ بعـدَ الذي رأتْ ... قـيـامَ دليلٍ أوْ وضـوحَ بَيـانِ
رأتْ كلَّ منْ ينوي لكَ الغدرَ يبتلى ... بغـدرِ حـيـاةٍ أو بغـدرِ زمَـانِ
برغمِ شبيبٍ فارقَ السيفُ كفَّهُ ... وكانا على العلاتِ يَصطَحبانِ(١)
كـأنَّ رقـابَ الناسِ قـالتْ لسيفـه ... رفـيـقُكَ قـيـسيٌّ وأنت يمَانِ
فـإنْ يكُ إنسـانًا مـضى لسـبيله ... فـإنَّ المنايا غـايةُ الحَـيَـوانِ
ومـا كـانَ إلا النارَ في كلِّ مـوضعٍ ... تثـيـرُ غـبـارًا في مكانِ دُخَـانِ
فنالَ حـيـاةً يشـتـهـيـهـا عـدوُّهُ ... ومـوتًا يشـهي الموتَ كلَّ جَـبَـانِ
نفى وقعَ أطرافِ الرماحِ برمـحـه ... ولمْ يخشَ وقعَ النجمِ والدبَرَانِ(٢)
ولـم يدرِ أنَّ الموتَ فـوقَ شـواتـه ... مـعـارُ جناحٍ مـحـسنَ الطيَـرَانِ(٣)
وقـد قَـتَـلَ الأقـرانَ حـتى قـتلْتَـهُ ... بأضـعـفِ قـرنٍ في أذلِّ مَكانِ
أتتْـه المنايا في طريقٍ خـفـيَّـةٍ ... على كلِّ سـمعٍ حـولَهُ وعِـيَـانِ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يذكر قيام شبيب العقيلي على كافور وقتله بدمشق.
(١) على العلاّت: على كل حال.
(٢) الدبران: منزل من منازل القمر.
(٣) الشواة: جلد الرأس.

ولو سلكَتْ طرقَ السلاحِ لردها ... بطولِ يمينٍ واتساعِ جَنَانِ

تقصَّدَهُ المقدارُ بينَ صحابه ... على ثِقَةٍ منْ دهرِهِ وأمَانِ

وهل ينفعُ الجيشُ الكثيرُ التفافهُ ... على غيرِ منصورٍ وغيرِ مُعَانِ

ودَى ما جنى قبلَ المبيتِ بنفسه ... ولمْ يَدِهِ بالجَامِلِ العَكَنَانِ[1]

أتمسكُ ما أولْيْتَه يدُ عاقلٍ ... وتمسكُ في كُفرانه بعِنَانِ

ويركبُ ما أركبْتَه منْ كرامةٍ ... ويركبُ للعصيانِ ظَهرَ حِصانِ

ثنى يدَهُ الإحسانُ حتَّى كأنها ... وقد قُبِضتْ كانت بغَيرِ بنانِ

وعندَ مَنِ اليومَ الوفاءُ لصاحبٍ ... شبيبٌ وأوفى منْ تَرَى أخوانِ

قضى اللهُ يا كافورُ أنكَ أولٌ ... وليسَ بقاضٍ أن يُرى لك ثانِ

فما لكَ تختارُ القسيَّ وإنمَا ... عن السعدِ يرمى دونَك الثقلانِ

وما لكَ تعنى بالأسنةِ والقَنَا ... وجدُّك طعَّانٌ بغيرِ سِنانِ

ولم تحملُ السيفَ الطويلَ نجادُه ... وأنتَ غنيٌّ عنه بالحَدثَانِ

أردْ لي جميلًا جدتَ أو لمْ تجد به ... فإنكَ ما أحببتَ في أتَاني

لو الفلكَ الدوّارَ أبغضتَ سعيَهُ ... لعوَّقَهُ شيءٌ عنِ الدّوَرَانِ

(١) ودى: من الدية. الجامل: جماعة الجمال. العكنان: الإبل الكثيرة.